Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشبـــاب

سيرتحل الشاب إلى القاهرة، فلا تخبرنا السيرة الذاتية عن هذه المرحلة بأي شيء، قبل أن يكمل عقده الثاني، ولكنه كان قد وعى طبيعة المرحلة التي أقبل عليها، بناء على المؤثرات التي صاغت وجدانه، أي أنه أصبح منذورا للاختيارات الصعبة، وعليه أن يستقل بذاته لمواجهتها. ويهمنا من ذلك أن نعرف أن التطورات التي أحاطت بشخصية الشاب في هذه المرحلة كانت شديدة التأثير عليه. فمنذ وصوله إلى فاس، واستقراره النهائي فيها، صار يغالب الدهشة المستمرة، من جراء الصدمات المتوالية التي قابله بها وجوده في عالم مختلف عن العالم الذي حقق فيه، من قبل، أشد حالات التآلف استعبادا للفرد. ومن أهم العناصر الرامزة لتلك الصدمات في النص، مفهوم العائلة، والحي، ونمط التعليم، والقرويين كفضاء...إلخ. فلقد كانت هذه الرموز، بأنظمتها المختلفة، تعمل في سبيل تطويع الذات للقبول بالمواضعات العامة، وهي التي سترسم، كما أسلفنا، توجهها العام.

سأفترض أن مرحلة الشباب هي مرحلة التكون الوجودي أيضا،لأنها، على خلاف مرحلة الطفولة، تستمد وعيها من الشعور بالكينونة الفردية كذات. ولذلك تجد السيرة الذاتية في هذه المرحلة أوضح في التعبير عن التناقضات الذاتية (الإنفعالات، الحب، اختيار الأصدقاء...)، كما أن الاستذكار يأخذ مجرى التعبير التأويلي عن المحطات المؤثرة في التكوين الذاتي (الأدب، الإتصال بالعمل الوطني...) بالمعنى الذي يتكلم عنه بول ريكور، عندما يرى أن المحكي (الذاتي هنا) يبني هوية الشخصية، تلك التي يمكن تسميتها بالهوية السردية، في عملية بنائه للقصة (الحياة الشخصية من خلال الاستذكار) المحكية [1]، بحيث يمكن القول، من هذا المنظور، إن الشخصية التي نحتفظ بها أثناء عملية قراءة (في الطفولة)، هي تلك التي تُنجز من خلال المعنى، أو من خلال الخصائص والصفات التي تُضفى عليها طابع الشخصية /النموذج أو المثال. إذ من المفهوم أن السيرة الذاتية، بصرف النظر عن تطابق أو عدم تطابق الشخصية/ النموذج مع معرفتنا الواقعية بالمؤلف/ السارد، لا تكتب الحياة فقط وإنما تعيد صياغتها في استقلال عن الواقع الذي كونها، أعنى بصورة ذهنية ولغوية وخارج الزمن الموضوعي لتوالي الأحداث وحصول الذكريات.

---

1 ـ تلك فرضية بحثها ب. ريكور، كما يقول، في كتابه Temps de recit (الجزء الثالث)، ثم خصص لها فصلا في Soi-même comme un autre مصدر مذكور ص 137 وما بعدها. وهي تقوم على سلسلة استخلصها من دراسته للمحكيات التاريخية والتخييلية : إن فهم الذات يعتبر تأويلا، وتأويل الذات يجد في المحكي، إلى جانب علامات ورموز أخرى، توسطا مخصوصا. والتوسط مستمد من التاريخ كما من التخييل، بحيث يجعل من تاريخ حياة ما تاريخا خياليا، أو تخييلا تارخيا يتقاطع مع الأسلوب الأسطوريوغرافي والبيوغرافي، أو الأسلوب الروائي للسير الذاتية المتخيلة. ولهذا تجده يعتبر أن بحث الذات عن هويتها يتم، غالبا، على مستوى الحياة كلها.